

التصورات الاجتماعية ما بين المصطلح والنظرية

1حاج بن علو نورالدين

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، علم الانسان والتاريخ

hadj_benallou@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 01-05-2021 تاريخ القبول: 05-08-2021 تاريخ النشر: 07-08-2021

ملخص:

عرفت نظرية التصورات الاجتماعية منذ طبعة كتاب موسكوفيتشي 1961 إقبالا وتطورا شمل مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية، حيث أصبحت المرجعية ليس فقط لعلم النفس الاجتماعي ولكن أيضا لعلوم أخرى كالتاريخ والأنثروبولوجية وعلم الاجتماع والاقتصاد و التربية .سنحاول من خلال هذا المقال إبراز أهمية هذا المصطلح والبحوث الأساسية التي ظهرت خاصة منها ما سمح بتنظير قائم بذاته يسمى " نظرية التصورات الاجتماعية".

الكلمات المفتاحية: التصور الاجتماعي ; الممارسة ; ديناميكية التصور.

Abstract :

Since the 1961 edition of Moscovici's book, the theory of social representations has gained popularity and development in various social science disciplines. It has become a benchmark not only for social psychology, but also for other sciences such as history, anthropology, sociology, economics and education. Through this article, we will try to highlight the importance of this concept and the fundamental research which allowed the emergence of an autonomous theory called "theory of social representations".

Keywords: social representation; practical; dynamics of social representation.

حاج بن علو نورالدين، hadj_benallou@yahoo.fr

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

1- مقدمة:

بدأت دراسة التصورات الاجتماعية مع مجموعة من أعلام علم الاجتماع والأنثروبولوجية منهم دوركايم و ليفي برون و مابوس. كان دوركايم أول من قام بالتفريق ما بين التصور الفردي و التصور الجمعي. فبالنسبة إليه التصور الفردي ليس له ميزان ولا أهمية إلا من خلال التصور الجمعي الذي يُفرض على الأفراد من جيل لآخر عن طريق القواعد التنظيمية القانونية و الاقتصادية و الأخلاقية و الدينية...إلخ. فالتصورات الاجتماعية حسب دوركايم هي: «ظواهر تتميز عن بقية الظواهر في الطبيعة بسبب ميزات الخاصة...و من دون شك فإن لها أسباب و هي بدورها أسباب ..إن انتاج التصورات لا يكون بسبب بعض الأفكار التي تشغل انتباه الأفراد لكنها بقايا لحياتنا الماضية، إنها عادات مكتسبة، أحكام مسبقة، ميول تحركنا دون أن نعي، إنها كل ما يُشكل سميتنا الأخلاقية». إن هذا المفهوم للتصورات الاجتماعية عند دوركايم يندرج بطبيعة الحال في إطار مشروع سوسيولوجي و أنثروبولوجي يجعل من الظاهرة الاجتماعية خاضعة لقواعد اجتماعية تهدف دوما إلى فرض نفسها على الفرد سلوكيا و فكريا، أي أنّ دوركايم و عكس ما نجده عند فيبر: «كان يتحاشى دوما إعطاء الفرد وضع الشخص المؤثر» (Deliège,2013, p75).

في حقيقة الأمر يمكن اعتبار أن مفهوم التصورات الاجتماعية سقط نوعا ما في النسيان واللامبالاة لمدة طويلة إلى أن ظهر كتاب جديد سنة 1961 للعالم النفساني موسكوفيتشي حول التحليل النفسي و أعاد صياغة و تطوير هذا المفهوم ليصبح نظرية قائمة بنفسها تحاول تفسير الظاهرة الاجتماعية انطلاقا من جدلية الفرد و المجتمع. وقد نتج عن هذه الجدلية توقع التصورات الاجتماعية في " نقطة تقاطع لمجموعة من المفاهيم النفسية والاجتماعية» (Moscovici, 1976, p39) لا يمكن تحديدها في المجتمع دون الفرد و لا في الفرد دون المجتمع. سنحاول في هذا البحث الإجابة عن عدة تساؤلات حول التصورات الاجتماعية كيف تنشأ؟ ما هي بنيتها؟ و ما هي خصائصها و وظائفها؟. وعلى هذا الأساس اعتبرنا أن

حاج بن علو نور الدين

التصورات الاجتماعية هي سيورة نفسية اجتماعية متواصلة ومتجددة تسمع بعلاقة الفرد مع الجماعة والجماعة مع الجماعات الأخرى حسب المكتسبات والخبرات لكل منها و قدرتها على التأقلم مع الواقع الآني و الواقع الجديد. وسنبين هذا من خلال الأعمال الأكثر تميزاً في هذا الحقل العلمي والتي أعطت نظيراً ومقاربة جديدة للبحوث حول التصورات الاجتماعية.

2. تعريفات للتصورات الاجتماعية

من الصعب وضع تعريف محدد للتصورات الاجتماعية كما أقر بذلك موسكوفيتشي باعتبار أنها في نقطة تقاطع ما بين مفاهيم نفسية وأخرى اجتماعية. ونتج عن هذا التقاطع و التداخل تعدد معانيها كما يقول دواز: « تشير إلى عدد كبير من الظواهر و السيورات... فهي هيئة ما بين المصطلح و الإدراك؛ تتموقع داخل ابعاد متعدد: المواقف، المعلومات، والصور؛ لها دور في نشأة التصرفات و توجيه الاتصالات الاجتماعية؛ تُفضي إلى سيورات الموضوعية و التصنيف و التأصيل، وخاصة أنها تعمل على إعداد و تكوين و تدبير أنماط التواصل: النشر و الدعاية و الاشهار» (Doise, 2002, p83). وهذه أهم التعريفات التي حددها بعض المتخصصون في هذا المجال:

موسكوفيتشي (Moscovici): « وسيلة لتأويل العالم و تفكر لواقعنا اليومي، وشكل من المعرفة الاجتماعية التي يبينها الفرد على الأقل بطريقة شعورية انطلاقاً من ماهي عليه الآن و ما كانت عليه، و ما ستكون و توجه سلوكه. ويتلزم مع كل هذا نشاط ذهني من قبل الأفراد و الجماعات لترسيخ مواقعهم و موضعهم اتجاه مواقف، و أحداث، او حالات معينة و أوجه التواصل التي تناسبهم».

- تعريف جودلي (Jodelet): « هي شكل من المعرفة التي هيئات اجتماعيا و مشتركة، لها بُعد عملي يهدف إلى بناء واقع مشترك لمنظومة اجتماعية. فهي ليست انعكاس مبسط للواقع، بل تعمل كنظام تأويل للواقع» (Jodelet, 2003, p192).

- تعريف أبريك (Abric): " نسق لتفسير الواقع حيث يدير علاقات الأفراد في محيطهم الفيزيائي و الاجتماعي كما يحدد سلوكياتهم و ممارساتهم، و يوجه الأفعال و العلاقات الاجتماعية... إنها نظرة متأملة

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

للكون تسمح للفرد (أو الجماعة) اعطاء المعنى لتصرفاته وفهم الواقع من خلال النسق المرجعي الخاص به، أي التكيف وتحديد مكانه» (Abric 1997,p13).

- تعريف بوناردي و روسيو (Bonardi et Roussiau) : « التصور الاجتماعي هو بناء اجتماعي للآراء، يرتبط غالبا بموضوع معين الناتج عن التبادلات الاتصالية الاجتماعية يسمح بالتحكم في المحيط و التصرف فيه حسب العناصر الرمزية الخاصة بالجماعة او الجماعات » (Bonardi et Roussiau, 2001, p19)

و يمكن أن نستخلص من هذه التعاريف بعض الخصائص الأساسية للتصورات الاجتماعية:

- هي معرفة عملية نتيجة الخبرات والمفاهيم المشتركة بين الفرد والجماعة. تشمل كل جوانب الحياة اليومية.

- عمية تواصلية بين الفرد و الجماعة

- تُأثر وتوجه سلوك الفرد و الجماعة.

- لا تمثل الواقع بعينه بل تأويلا للواقع

- تشكل جوهر المعرفة الاجتماعية لأنها تساعدنا على التمكن المعرفي من العالم وفهمه كما انها تعزز

قدرتنا على التواصل مع الآخرين بشأنه.

3. نشأة التصورات الاجتماعية:

انطلاقا من فكرة أن التصورات الاجتماعية هي سيورة ونتاج وُضِع و اعداد نفسي واجتماعي للواقع، وصف موسكوفيتشي في دراسته حول التحليل النفسي أولا الشروط اللازمة لظهور التصور ثم السيوريتين الأساسيتين التي تعمل على تكوين التصورات الاجتماعية وهي التوضيع أو التجسيد و الترسخ.

حاج بن علو نور الدين

1.3 شروط ظهور التصور: حسب موسكوفيتشي فإن ظهور وضعية جديدة ومبتكرة، أو ظاهرة غير معروفة أو حدث غير عادي يسمح ظهور تصور اجتماعي معين . وصف موسكوفيتشي ثلاثة مراحل أو حالات:

أ . تشتت المعلومات (**dispersion de l'information**): إن المعلومة التي تسمح للأفراد ببناء تصور اجتماعي هي مشوهة و غير كاملة، فهي لا تتوافق مع الواقع. يرجع هذا الى كون المعلومة وصلت ناقصة للأفراد (لأنها جديدة) وايضا لعدم القدرة على استيعابها لأنها ما زالت معقدة.

ب . ضغط الاستدلال (**pression d'inférence**): هذه الخصائص للمعلومة تؤثر على المسار المعتاد للأشياء وتثير القلق والحيرة مما يدفع بعمليات ذهنية و عقلية يهدف منها الأفراد إما التحكم في المعلومة أو الدفاع عن أنفسهم منها. يشعر الأفراد بالحاجة إلى التواصل حول الأشياء التي لا يعرفونها جيداً، لكي يقدرّون التحدث عنها والحصول على خطاب متماسك، فيعمل كل فرد على سد هذا الفراغ المعرفي بالتحدث إلى أفراد مجموعته. إنه بحث ضروري وحيوي بإلحاح و استعجال حول المعلومة يهدف الالمام بها و توافق وجهات النظر داخل الجماعة.

ت . التركيز (**focalisation**) : تأخذ هذه المناقشات قنوات اتصال مختلفة وترافقها مجموعة من المعلومات والمعتقدات والفرضيات والتكهنات التي تؤدي إلى ظهور مواقف الأغلبية في مختلف المجموعات. إن هذه المواقف تدل على نوع من الاجماع والتوافق نتيجة قيام الأفراد بمعالجة المعلومات حول الموضوع أو الوضعية بشكل انتقائي، أي : « التركيز على عناصر معينة وفقاً لتوقعات أو توجهات جماعة الانتماء» (Rateau, 2015, p421)

2.3 آليات ظهور التصور (mécanismes d'émergence): تتم العمليات التي ذكرناها سابقاً من تشتت المعلومات وضغط الاستدلال، والتركيز من خلال سيوريتين أو آليتين حددها موسكوفيتشي في التوضيع أو التجسيد والترسيخ:

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

1.2.3 التوضيح أو التجسيد (processus d'objectivation): يعتبر المرحلة الأولى في بناء التصور الاجتماعي، وتعمل على الانتقال من موضوع مجرد إلى موضوع ملموس ومفهوم عند الفرد. فهي مرحلة استيعاب وادماج المعرفة الخاصة بالموضوع (موضوع التصور). وتتم هذه العملية أو السيرونة بثلاث مراحل زمنية:

أ - **الانتقاء (sélection):** تُبين لنا علاقة الفرد بموضع التصور حيث يقوم بعملية انتقاء لبعض المعلومات وإقصاء أخرى. ويقوم الفرد من خلال هذه العملية بعزل هذه المعلومات عن سياقها الأصلي التي نشأت فيه (décontextualisation) لترتفع بذلك نسبة استعمالها من طرفه. فمثلا رأى موسكوفيتشي أن مفهوم ليبدو غائب تماما عند المبحوثين مقارنة بمفهوم الشعور والاشعور.

ب - **المخطط التصوري (schéma figuratif):** عملية تنظيم وترتيب المعلومات بعد اختيارها و تنقيحها في نسق أو نموذج يمثل "نواة التصور يكون بسيط، ملموس، و منسجم مع الثقافة و المعايير الاجتماعية المحيطة. تعتبر هذه النواة القاعدة الأساسية للتصور التي تحدد المعاني والدلالات لكل العناصر الأخرى المكونة له. فمثلا يصبح: «الشعور ما هو ظاهر و الالاشعور ما هو خفي النواة الأساسية في

التصور الاجتماعي للتحليل النفسي» (Bonardi et Roussiau, 2001, p19)

ت - **التطبيع (naturalisation):** تمثل المرحلة الأخيرة من عملية التجسيد للتصور وتعني هنا أن عناصر التي تمثل النواة تصبح ملموسة، واضحة المعالم والمعاني للأفراد من جهة وأساسا لتفسير وبناء الواقع.

2.2.3 الترسيع (l'ancrage): تتمثل سيرونة الترسيع في تأصيل و ترسيخ اجتماعيا التصور و موضوعه من خلال عملية ادماجه في نظام المعايير للفرد والجماعة. إنه امداد لسيرونة التجسيد في غايته أي في ادماج ما هو جديد وتأويل الواقع وتوجيه سلوك الفرد والعلاقات الاجتماعية. إن الترسيع هو الذي يسمح للتصور أن يكون له وجود في المجتمع عن طريق المعرفة المحصلة (من عملية التجسيد) والالزمة في فهم وتسيير المحيط الخارجي. ويتحقق بالترسيخ عدة عمليات:

حاج بن علو نور الدين

- المعنى (le sens): يصبح لموضوع التصور فحوى و مُؤدّى ومعنى مشترك بين الفرد و الجماعة، وهذا ما يحقق الادمج الاجتماعي.

- إن الترسيع يعطي لعناصر التصور قيمة وساطة بين الفرد ومحيطه باعتبار أن هذه العناصر تُعبر ليس فقط على العلاقات الاجتماعية القائمة بل أيضا على خلق علاقات جديدة وقراءتها حسب ما هو مشترك وما هو مختلف.

- فهم وتحديد ما هو مألوف وما هو غريب أي ما ينتمي إليه الفرد من معايير اجتماعية وثقافية التي تمثل أساس انتمائه للجماعة والتي تسمح بتحديد طبيعة العلاقة مع جماعة أخرى (الغريب).

- تأصيل التصور داخل نظام فكري يعني أن التصور أصبح في النهاية عبارة عن معرفة اجتماعية تتحد فيه كل أنواع العلاقات والمعايير والسلوك والممارسات التي تسير الحياة اليومية للفرد والجماعة. وتحلّى مظاهر سيروية الترسيع في ثلاث أمور (جلول؛ الجموعي، 2014، ص 177-178):

- **التصور كسيروية تأويل: نوظف** التصور كأداة لمعرفة أنفسنا وكذا معرفة الآخرين، إذ يسمح بفك تشفير ما يحيط بنا فنحصل على إطار تأويل، وذلك بوضع الأفراد والوضعيات في تصنيفات تعمل كدليل لفهمنا، وهكذا تصبح هذه السيروية جهازا وسيطا قادرا على تعديل العلاقة الاجتماعية من خلال اقتراح كناشات و أنماط تساعد على تقييم الأحداث و السلوكات.

- **التصور كشبكة من الدلالات** هو مظهر مركزي لعمل التصور، لأنه يوضح العلاقات الموجودة بين العناصر المختلفة، وبالتالي فهي تعكس هوية الأفراد والجماعات من خلال الدلالات المختلفة الموجودة في تصوراتهم.

- **التصور كوظيفة إدماج:** تدمج سيروية الترسيع التصور في أنظمة تفكير موجودة مسبقا، حيث يمكن لهذا المظهر أن يفسر كيفية حدوث العلاقة بين نمط التصور الموجود مسبقا والوقائع الجديدة التي يمكن أن

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

يواجهها، فالترسيخ يسمح إذن بتحديد كيفية حدوث إدماج هذه الجدة في جهاز معين وكذا إعادة تركيب العناصر المتفاعلة.

هناك ثلاث مستويات في سيرورة الترسخ:

- الترسخ النفسي (l'ancrage psychologique): يمس المتغيرات الفردية وما بين الأفراد.
- الترسخ الاجتماعي (l'ancrage sociologique): وتعني: «المقارنات بين مجموعات الأفراد وفقا للمواقف التي يشغلونها في مجموعة من العلاقات الاجتماعية».
- الترسخ النفسي - الاجتماعي (l'ancrage psychosociologique): يوجد بين الترسخين السابقين و يعني تحليل: « الطريقة التي يضع الأفراد أنفسهم (رمزيا) داخل علاقات اجتماعية و في حقل معين».

4. بنية التصورات الاجتماعية:

قدم أبريك نموذجا نظريا لبنية التصورات الاجتماعية من خلال العناصر التي تتكون منها والتي حددها في عنصرين: النواة المركزية و العناصر المحيطة.

2.4 النواة المركزية (noyau central):

تعتبر العنصر الأساسي للتصور لأنه يحدد كل من معناه وتنظيمه وفقاً لنظام مميز: «كل تصور ينتظم من

خلال وحول نواة مركزية والتي بدورها تتكون من عنصر واحد أو عدد قليل من العناصر التي تحدد للتصور

دلالتة» (Abric, 1997 p19)

حاج بن علو نور الدين

النواة المركزية هي مجموعة فرعية من التصور تتألف من عنصر واحد أو عدد قليل من العناصر الأكثر استقرارًا ومقاومة للتغيرات، ولهذا غياب واحد منها يؤثر على التصور ككل في معناه وبنيته. إنها بسيطة، وملموسة، ومتماسكة، وترتبط بالقيم والمعايير التي تبناها الأفراد. وللنواة المركزية ثلاث وظائف أساسية:

- **وظيفة مولدة (Fonction génératrice):** فمن خلال النواة المركزية يتحدد (وقد يتحول) معنى كل العناصر الأساسية للتصور.

- **وظيفة مُنظمة (Fonction organisatrice):** تُنظم وتحدد طبيعة العلاقات بين كل العناصر. إن عناصر النواة المركزية هي أكثر بروزا و تأثيرا وتواصلها معيارا كليا للمركزية مقارنة بالعناصر المحيطة.

- **وظيفة مثبتة (Fonction stabilisatrice):** تثبت محتوى التصور وموضوعه في الزمان وفي فترات متفاوتة المدة. هناك بعدين للنواة المركزية (أبريك) حسب طبيعة موضوع التصور و حسب قُصْدِيَّة (finalité) الوضعية : بعد وظيفي و بعد معياري.

- **البعد الوظيفي (Dimension fonctionnelle):** يتجلى من خلال الوضعيات الموجهة إلى تنفيذ مهمة أو عمل. يرتبط خاصة بالظروف الحاضرة و العاجلة التي يستدعيها انتاج التصور و الممارسات الاجتماعية.

- **البعد المعياري (Dimension normative):** تتجلى في كل الوضعيات التي تتدخل فيها و بصفة مباشرة محتويات سوسيو - عاطفية، اجتماعية، و ايولوجية مثل ما نجده في الاتجاهات و المواقف و المعايير. وقد تحدد المعايير الحكم على موضوع التصور

3.4 العناصر المحيطة (Éléments périphériques):

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

وتمثل النظام المحيط (système périphérique) بالنظام المركزي أي نظام النواة المركزية. هذا الجزء يتكون من العناصر الأكثر عرضة للتغيرات و التأثيرات الخارجية والمواقف المختلفة التي يواجهها الفرد. تُشكل عناصر النظام المحيطي أغلبية محتوى التصور ما يجعلها لا تقل أهمية عن تلك الموجودة في النواة المركزية. وتقوم هذه العناصر بثلاث وظائف أساسية:

- وظيفة التجسيد (Fonction de concrétisation):

باعتبار أن العناصر المحيطة هي الأكثر اتصالا بالعالم الخارجي فتكون أول وسيلة لتجسيد التصور في الواقع بمفاهيم و معانٍ بسيطة سهلة التنقل والفهم، إنها ترتبط مباشرة بالحياة اليومية للفرد: «بالقرب من النواة المركزية تلعب هذه العناصر دورا مهما في تحقيق معنى التصور، و إذا ابتعدت فتقوم بدور توضيح و تفسير أو تبرير لهذا المعنى» (Abric, 1997, p27)

- وظيفة التعديل (Fonction de régulation):

تتيح هذه الوظيفة تكيف التصور مع مختلف الوضعيات التي يعيشها الفرد، وذلك من خلال دمج المعلومات الجديدة واستيعاب تحولات المحيط، وكل العناصر التي من شأنها أن تهدد بنية التصور حيث يتم احتواءها وتعديلها بإعطائها موقعا ثانويا أو إعادة تأويلها بما يتماشى والدلالة المركزية للتصور. النظام المحيطي هو الجانب المتحرك والمتطور للتصور. من خلال آلياته الديناميكية، يمكن للتصور التأقلم والتكيف مع تطورات السياق والواقع دون تغيير جوهري.

- وظيفة دفاع (Fonction de défense):

هي أولا عملية انتقاء للعناصر الجديدة لتناسب والنواة المركزية ثم إدماج مشروط للعناصر المتناقضة؛ فالجهاز المحيطي هو الوحيد القادر على تحمل التناقضات داخل محتوياته.

جدول 1 النظام المركزي و النظام المحيطي حسب Abric

حاج بن علو نور الدين

دينامكية	النظام المركزي	النظام المحيطي
	مرتبط بالذاكرة الجماعية و تاريخ الجماعة	يسمح بإدماج التجارب الفردية
	توافقي ويحدد تجانس الجماعة	يحتمل تنافر و تباين داخل الجماعة
	. ثابت وصلب . متماسك	. مرن . يحتمل التناقضات
	يقاوم التغيرات	متحول و متطور
	قليل التأثير بالوضعيات الآنية	يتأثر بالوضعيات الآنية
	. مُؤَلد لدلالة و معنى التصور . يحدد آليات و تنظيم التصور	. يسمح بالتكيف مع الواقع المعاش . يسمح بالتفريق ما بين المحتويات . يصون النظام المركزي

5.

التصور

والمقاربات النظرية:

من الأعمال الرائدة في نظرية التصور الاجتماعي نجد العديد من الأبحاث الوصفية التي تهدف إلى استكشاف طبيعة التصور الاجتماعي لموضوع معين و في مجموعات اجتماعية مختلفة. على سبيل المثال ، عملت Jodelet (1989) حول تصور الجنون في بيئة فرنسية ريفية ، كان هدفها توفير عمليات التحقق التجريبية من الفرضيات الأولية لنظرية موسكوفيتشي. قد بينت لها النتائج أن التصورات هي بشكل ما نظامًا رمزيًا: «يمثل التصور نظامًا رمزيًا ينسخ على المستوى الفردي النظام الثنائي [علاقة الفرد مع الآخر] الذي تم إنشاؤه على مستوى التفاعل الاجتماعي» (Jodelet, 2003, p192) و التصور الاجتماعي كنوع من المعرفة المنتشرة تعمل على بناء واقع مشترك: "إنه شكل من المعرفة المتقاسمة والمشاركة، مع هدف عملي يساعد على بناء واقع مشترك لمجموعة اجتماعية» (Jodelet, 2003, p53).

حددت Jodelet ثلاثة مجالات للبحث في علم النفس الاجتماعي: الأول المتعلقة بنشر المعرفة وتعميم العلوم، والثاني هو التجريبي الذي يعتبر التصور الاجتماعي كمتغير مستقل كدراسة التفاعل و التواصل في

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

العلاقات بين الأشخاص ، والثالث التصورات في العالم الحقيقي وعلاقتها بالقيم الاجتماعية. وفي كل الحالات فإن التصور هو دائما تصور لموضوع.

هذا المجال الأخير من الأبحاث ، ميزت فيه ثلاثة مقاربات: التصور كشكل من أشكال التعبير الاجتماعي والثقافي ، والتصور كنتيجة لديناميكية نفسية اجتماعية ، وأخيرا ، التصور كشكل من أشكال الفكر الاجتماعي و لهذا فإن « مفهوم التصور الاجتماعي هو شكل من أشكال المعرفة [التي تختلف عن المعرفة العلمية] ، المعرفة العامة أو الساذجة... إنه (التصور) شكل من أشكال الفكر الاجتماعي " و يُفهم التصور أيضا كمجموعة من الآراء والمعلومات والقيم و المعتقدات حول موضوع معين (موضوع التصور): " التصور الاجتماعي هو دوما تصور لشيء ما (الموضوع) و لشخص ما (الفاعل) » (Jodelet, 2003, p53).

أسهم أبريك Abric بنسبة كبيرة في فهم وتفسير الظواهر المرتبطة بمحتوى التصور الاجتماعي. واستناداً إلى نظرية التصورات الاجتماعية التي طورها موسكوفيتشي، فإن التوجه الذي اختاره المؤلف هو دراسة العلاقة بين التصورات والسلوكيات من جهة ، والتصورات والممارسات الاجتماعية من جهة أخرى، يأخذ بعين الاعتبار البعد الديناميكي للتصورات التي تنتج الأنماط السلوكية والممارسات الاجتماعية التي تناسب التصور و موضوعه الوضعية الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد . إن التحدي الأكبر الذي واجهه Abric الذي هو كيف تتحدد ديناميكية التصور من خلال السلوكات والممارسات الاجتماعية؟

إن التصور الاجتماعي هو "انتاج و سيرورة لنشاط ذهني يعيد بواسطته فرد أو جماعة بناء الواقع الذي يواجهه ويعزو إليه معنى محدداً" ولكن هذا التصور: « ليس مجرد انعكاس للواقع ، بل هو نظام ذو دلالة. ويعتمد هذا المعنى في الوقت نفسه على عوامل متباينة - طبيعة الضغوطات، والمواقف، والسياق العام- وعوامل عامة تتجاوز الوضعية: السياق الاجتماعي و الايديولوجية، مكان الفرد في التنظيم الاجتماعي، تاريخ الفرد والجماعة، القضايا الاجتماعية» (Abric, 1997, p13)

حاج بن علو نور الدين

أثناء عرضه الاهتمام بدراسة التصورات الاجتماعية تحريياً، يلاحظ أبريك أن " التصور هو مجموعة من الآراء والمواقف والمعتقدات والمعلومات التي تدل على موضوع ما أو وضعية. ويحدد في آن واحد الفاعل نفسه (تاريخه، معاشه) من خلال النظام الاجتماعي والأيدولوجي الذي ينتمي إليه، وطبيعة العلاقات التي يحملها هذا الفاعل مع هذا الموضوع الاجتماعي» (Abric, 1989, p205).

بالإضافة إلى ذلك، فإن السلوك هو تصرف، فعل من الذات ومن الآخرين، يرتبط مباشرة بالتصورات الاجتماعية المهيكلية في وضع معين من ناحية، وكل العناصر التي تشكلها هذه التصورات ومعانيها من ناحية أخرى: « هكذا يُطرح أول هدف من الدراسة التحريية العامة [للتصور]. إن سلوكات الأفراد والجماعات لا تتحدد بالخصائص الموضوعية للوضعية بل من تصور هذه الوضعية» (Abric, 1989, p207).

يظهر جلياً أن التصور الاجتماعي غير منعزل عن الواقع الملموس: معاش وسلوك الفاعل، بل على العكس، هو المنتبئ لأنواع التصرفات ويمنحه دوراً مهماً في الاعداد النفسي - الاجتماعي اتجاه ردود و سلوكات الآخرين: « التصور الاجتماعي يسبق الفعل ... وهو نظام فك تشفير مسبق للواقع، لأنه يحدد مجموعة من التوقعات والتطلعات (Abric, 1997 p13).

اعتبر Abric أن الفعل الاجتماعي وعلاقته بالتصور يُطرح من خلال دراسة جانب من تجليات الفعل الاجتماعي كالسلوك والممارسة الاجتماعية.

عرف Abric الممارسة الاجتماعية بأنها عبارة عن: " أنساق فعل ذات بنية اجتماعية لها علاقة بالأدوار» (Abric, 1997, p217)

وتستطيع الممارسات تشكيل وتحديد النظام التصوري و إيديولوجية الأفراد: « إنها الممارسات التي يُقبل الفاعلون بتحقيقها و التي تُشكّل و تحدد نظامهم التصوري و ايدولوجيتهم» (Abric, 1989, p205)

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

على هذا الأساس فإن التصور الاجتماعي هو عملية معرفية تسمح لنا بتهيئة الواقع بشكل كبير حيث تتدفق سلوكياتنا وممارساتنا الاجتماعية. ولكن كيف تأثر الممارسات على التصور الاجتماعي؟ يعتقد Abric أن العناصر المحيطة للتصور (النظام المحيطي) هي التي تتأثر في الأول بالممارسات الجديدة و المتكررة التي قد تعمل على تعديل في المرحلة الاولى لهذه العناصر ثم لاحقا بعناصر النواة و ينسب متفاوتة تمتد في مدة زمنية متفاوتة أيضا. ولكن Abric يعتبر أن ذلك لا يتم بسهولة لأن عناصر النواة تقاوم دوما التغيير وإن حدث هذا الأمر فإن التصور يتغير تماما إلى تصور آخر للموضوع.

قام أيضا Flament بدراسة ديناميكية التصورات و تأثرها بالممارسات من خلال: «تغيرات لظروف (circonstances) خارجية (عن التصور) التي تُحدث تغيرات في الممارسات الاجتماعية (المرتبطة بالتصور)؛ عندئذ تظهر التغيرات في محيط التصور التي بإمكانها إحداث تغيرات في النواة المركزية [للتصور]» (Flament, 2001, p49)

و لا يمكن التكلم على تغير في التصور إلا إذا مسَّ هذا التغير النواة المركزية للتصور مما يعني " أن التصور تغير جوهريا".

أما في حالة ما اكتفت سيرورة التغيرات على العناصر المحيطة فإن ذلك يعني أن التصور في حالاته الطبيعية للتكيف مع الظروف الجديدة. إن تحليل الظروف التي تؤدي إلى التغير يرجع حسب Flament إلى طبيعة الوضعية (situation) ففي حالة « لا رجعة فيها فإن ذلك يعني أن التصور في طريقه إلى تحول جوهري» (Flament, 2001, p50)

يتجلى بوضوح أن العلاقة بين التصور والممارسة هي علاقة تفاعلية حيث تأثر كل واحدة في الأخرى فالتصور كما رأينا هو المصدر الأساسي الذي يحدد لنا طبيعة الممارسة ومحتواها، و الممارسة باعتبارها اجتماعية و واقعية في تجدد و تطور فإنها منتجة لممارسات جديدة قد تأثر على موضوع التصور. يذكر Abric ثلاثة تحولات للتصور:

حاج بن علو نور الدين

أ - التحول التدريجي (transformation progressive): يحدث عندما لا تدخل الممارسات الجديدة في تناقض مباشر مع نواة التصور.

ب - التحول مع المقاومة (transformation résistante): عندما تدخل الممارسات الجديدة في تناقض مع نواة التصور تُحفّز آليات دفاعية تسمح للأفراد بإبقاء التصور على حالته، وهذه الآليات هي:

- الترشيد (rationalisation): ويهدف في أول الامر عنصر التناقض (معلومة أو حادث) حيث يعمل الأفراد على انتقاص من شأن هذا العنصر الجديد أو تغيير دلالاته. وقد يهدف الترشيد التناقض بعينه حيث يعمل على تقزيمه أو ارجاعها مقبولا عن طريق ما يسميه Flament الاسكيمات الغريبة أو السّيكّم أو الإسكيم الغريب (le schème étrange): «عندما يدلي الفرد بوضوح و صراحة التناقض الموجود بين الممارسات الجديدة و القديمة ويقترح نوع من الترشيد يسمح بتحمّل التناقض و لو مؤقتا» (Flament, 2001, p50).

- التفنيد (réfutation): يُرفض عنصر التناقض تماما ويعتبر منافيا لنواة التصور ومهددا لسلامة التصور بعينه فيلجأ الأفراد إلى انكاره كأنه غير موجود في الواقع.

ت - التحول العنيف (transformation brutale): هو تحول جذري في التصور أي يمس عناصر النواة المركزية للتصور نتيجة فشل الآليات الدفاعية وعجزها على الوقوف ضد تواصل العناصر المتناقضة باستمرار و تكرار، مما يؤدي إلى: «تشتت النواة الذي يترجم في الواقع بزوال خاصية التوافق لعنصر أو عدة عناصر مركزية» (Flament, 2001 p51)

في الواقع، إن وجود النظام المزدوج (نظام مركزي ونظام محيطي) هو الذي يجعل من الممكن فهم الطبيعة "المتناقضة" للتصور الاجتماعي. إنه في نفس الوقت مستقر ومتغير، جامد ومرن، متفق عليه وتفضيلي.

لا تنكر هذه الأطروحات (نظرية التصور) التطور أو التحوّل المحتمل دائماً للتصورات: قد يحدث أن انساقا جديدة يمكن أن تندمج تدريجياً مع النواة المركزية بعد عبورها للحاجز المحيطي. ومع ذلك فإن النواة المركزية تعمل دائما على بناء (او إعادة بناء) التصور والخصائص الأساسية التي تميزه. فلا ننسى أن هذه الأخيرة -

التصورات الاجتماعية بين المصطلح والنظرية

النواة المركزية ترتبط بالذاكرة الاجتماعية (حسب مفهوم جودلي للتصور)، وبالتالي فهي تتفاعل مع الظروف التاريخية والاجتماعية والايديولوجية للمجتمع وكذلك مع نظام المعايير السائدة فيه. فالنواة المركزية اجتماعية في جوهرها ونشأتها و هي القاعدة الأساسية التي تشترك فيها كل التصورات الاجتماعية المتبادلة.

6. الخاتمة :

عرفت نظرية التصورات الاجتماعية منذ ظهورها العديد من التطورات سمحت للكثير من الباحثين في مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية من استثمارها كتنظير مستقل في جميع الميادين البحثية. إن دراسات التصورات الاجتماعية لديها قيمة ارشادية واستدلالية تتيح توضيح وفهم طبيعة الروابط الاجتماعية وعلاقة الافراد مع بيئتهم. فهي تقوم على افتراض وجود علاقة متبادلة وتوافق بين هياكل العالم الخارجي وأنماط التفكير للأفراد والجماعات. وبالتالي فهي من جهة النظرة المشتركة للمجتمع والجموعات والأفراد لتصور العالم وفهمه ومن جهة ثانية تقع هذه النظرة في تاريخ وتجارب الفرد والجماعات. وبقدر ما تكون التصورات مشتركة بقدر ما تساهم في بناء واقع مشترك للأفراد أو الجماعات والمجتمع. وعلى هذا الأساس تعمل التصورات على تعزيز الروابط والتماسك الاجتماعي وتوحيد الرؤيا حول مختلف الوضعيات والمواقف والاتجاهات والأفعال والسلوكات. إن البحث في التصورات الاجتماعية يتحدد من جهتين أساسيتين: الجهة الأولى هو اعتبار هذا التصور الاجتماعي كمصطلح متنقل من علم إلى علم أو من تخصص إلى تخصص مع أخذ بعين الاعتبار خصوصية كل علم. أما الجهة الثانية فهي اعتبار التصور الاجتماعي كتنظير قائم على أسس منهجية وتنظرية قابل للاستخدام في عدة تخصصات علمية مختلفة.

Bibliographie

Abric, J.-C. (1989). L'étude expérimentale des représentations sociale.
Dans s. d. Jodelet, *Les représentations sociales*. Paris: P.U.F.

- Abric, J.-C. (1997). *Pratiques sociales et représentations*. Paris: PUF, 2ème Editions.
- Claude, F. (2001). *Pratiques sociales et dynamiques des représentations*. Dans s. l. Moliner, *la dynamique des représentations sociales*. Grenoble: PUG.
- Deliège, R. ((2013). *Une histoire de l'anthropologie, Ecoles, auteurs, théorie*,. Editions du Seui.
- Doise, W. ((2002). *les représentations sociales, définition d'un concept*. Dans s. l. A.Palmonari, *L'étude des représentations sociales*. Paris: éd Delachaux et Niestlé,.
- Herzlich, C. (2002). *Représentations sociales de la santé et de la maladie et leur dynamique dans le champ social*. Dans s. l. A.Palmonari, *L'étude des représentations sociales*. Paris: éd Delachaux et Niestlé,.
- Jodelet, D. (1989). *Les représentations sociales*,. Paris: P.U.F.
- Moscovici, S. (1976). *la psychanalyse, son image, et son public*. Paris: Puf.
- Rateau, P. (2015). *Etude du sens commun*. Dans s. l. Describard, *traité de psychologie sociale, la science des interactions humaines*. éd De Boeck.
- Roussiau Christine, B. N. (2001). *les représentations sociales*. éd Dunod.

جلول أحمد، مومن بكوش الجموعي. (العدد السادس, 2014). *التصورات الاجتماعية، مدخل نظري*. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية جامعة الوادي .